مذهب السلف الصالح
التسليم في آيات وأحاديث الصفات
والصفات الإضافية -اليد والعين و..

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ""تَــلاَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ] (سورة آل عمران آية ٧) . قالت : قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:
(إذا رأيتُم الذين يتَّبِعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّى اللهُ، فاحْذَروهم) . رواه مسلم ٢٦٦٥

١- روى أبو القاسم اللالائى في (أصول السنة) **عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما قال:**
" اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلي المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي حدث بها الثقات عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل **من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه** فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك **فقد خرج مما كان عليه النبى صلي الله عليه وسلم وفارق الجماعة** فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا."

٢-وذكر الخلال في كتاب " السنة" عن حنبل وذكره حنبل في كتبه مثل كتاب" السنة والمحنة" قال حنبل:
(سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى: إن الله تبارك وتعالي ينزل إلي سماء الدنيا". و "إن الله يرى" و "إن الله يضع قدمه" وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبد الله :
(نؤمن بها ونصدق بها **ولا كـــيـــف ولا مـــعـــنـــى**، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم حق إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، **ولا يوصف الله تبارك وتعالي بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ليس كمثله شيء**).

٣-وروى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله:

(وقالت اليهود يد الله مغلولة) [المائدة: ٦٤] فأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: (وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] فأشار إلي عينه وإلى أذنه أو شيء من بدنه **قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه**.

ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين ذكر أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: لا يضحي بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلي الله عليه وسلم وقال : لا يضحي بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده أن يصف يد رسول الله صلي الله عليه وسلم إجلالاً له، وهو مخلوق فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء؟)

٤-وروى أبو بكر الأثرم، وأبو عمرو الطلمنكى، أبو عبد الله بن أبى سلمة الماجشون كلاماً طويلاً في هذا المعنى ختمه بقوله:

(فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم- سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لا هذا ولا هذا، ولا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف).

٥-(قال يحيى بن معين: شهدت زكريا بن عدي سأل وكيعاً فقال: يا أبا سفيان هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا؟

فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً **يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئاً.**

وقال أبو عبيد: هذه الأحاديث التي يقول فيها: ضحك ربنا من قنوط عباده، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها، والكرسي موضع القدمين، هذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق، حملها الثقات بعضهم عن بعض، **غير أنا إذا سُئِلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدركنا أحداً يفسرها)** [الإمام البيهقي: "الأسماء والصفات" ٢/ ١٩٨،١٩٧].

٦-عن أبي بكر المروذي قال: سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها، **وقال: تلقتها الأمة بالقبول، وتمر الأخبار كما جاءت)** [مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص١٨٢].

٧- أخرجَ الهروي عن أشهب بن عبد العزيز قال: (سمعت مالكاً يقول: إيـّاكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله، وما البدع؟
قال: (أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله؛ وصفاته؛ وكلامه؛ وعِلْمه؛ وقدرته؛ ولا يَسْكُتُونَ عمّا سكَتَ عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان) . [ذم الكلام ق ١٧٣].

٨-**عقيدة الإمام مالك في الصفات :**
عن الوليد بن مسلم قال: (سَأَلْتُ مالكاً، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، عن الأخبار في الصفات فقالوا: **(أمرّوها كما جاءت).**
أخرجه: الدّارقطني في "الصّفات" (ص ٧٥). والآجري في "الشّريعة" (ص ٣١٤). والبيهقي في "الاعتقاد" (ص ١١٨). وابن عبد البرّ في "التمهيد" (١٤٩/٧).
٩-جاء عن ابن رجب الحنبلي في فضل علم السلف على الخلف :
(والصواب ما عليه السلف الصالح **من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها** . . ولا يصح منهم خلاف ذلك البتة خصوصا الإمام أحمد ولا خوض في معانيها))
١٠-كذلك ما جاء عن ابن قدامة في (لمعة الاعتقاد) حين عرض لمسألة الصفات، وتلقيها بالتسليم والقبول أشار إلى ترك التعرض إلى معناها، ورد علمها إلى قائلها. وهذا تفويض في المعنى.

١١- قال أبو العباس بن سريج : ذكره صاحب معارج القبول من طبقه أبى جعفر الطبري إمام المفسرين وإسحاق بن خزيمة فقال:
(قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد، **وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة).**

١٢- قول الإمام الشافعي:
(آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وأمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) وهذا تفويض كامل في الكيف المعنى.

١٣- قال ابن المنيّر: (ولأهل الكلام في هذه الصفات كالعين والوجه واليد ثلاثة أقوال:
ــ أحدهما: أنها صفات ذات أثبتها السمع ولا يهتدي إليها العقل.
ــ الثاني : أن العين كناية عن صفة البصر، واليد كناية عن صفة القدرة، والوجه كناية عن صفة الوجود.
ــ الثالث : إمرارها على ما جاءت مفوضاً معناها إلى الله تعالى)) وهذا تفويض في المعنى.
وقولهم أنها **"صفات" تأويل حقيقي** لأن العين والوجه واليد ليست صفات وإنما هي أعضاء وجوارح فوجب صرف معناها الحقيقي الذي له وضعت في اللغة إلى معنى الصفات.

١٤- قال ابن تيمية: (وأما السلف والأئمة فلم يدخلوا مع طائفة من الطوائف فيما ابتدعوه من نفي وإثبات، بل اعتصموا بالكتاب والسنة، ورأوا ذلك هو الموافق لصريح العقل، فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقا يجب الإيمان به، **وإن لم تعرف حقيقة معناه)** .
وهذا تفويض في المعنى وهذا مخالف لرأيه الذي قال به بعدم التفويض.
ومما يلاحظ في هذه الأقوال أن لابن تيمية - رحمه الله - رأيين في هذه المسألة : رأي يذم وينكر التفويض بالمعنى، ورأي قد ذكرناه آنفا يفوض فيه بالمعنى (انظر رقم ١٤)، كما يلاحظ أن الرأي الذي قال فيه بعدم تفويض المعنى قد خالف فيه كثير من الأئمة منهم إمام مذهبه الإمام أحمد بن حنبل .

١٥- أئمة السلف مثل مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني الظاهري ساروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث وهؤلاء سلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات، وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره، وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا: من حرك يده عند قراءة قوله تعالى: (قَالَ يَا بْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ اَلْعالِينَ} [سورة ص ٧٤]. أو أشار بإصبعيه عند روايته "قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" **وجب قطع يده وقلع إصبعيه**... واحتاط بعضهم أكثر احتياط حتى لم يقرأ اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك: بل إن احتاج في ذكره إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ. فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه في شيء] ."الملل والنحل للشهرستاني الجزء الأول ١ الصفحة ١٠٤].

١٦- وَرَدَ اعتقادُ الشافعي في [سير أعلام النبلاء الجزء١٠ ص٣١]:
(عن المزني قال: قلتُ إن كان أحدٌ يُخرجُ ما في ضميري، وما تعلَّق به خاطري من أمـــر الـتـوحـيـــد، فالشافعي فصرتُ إليه وهو في مسجد مصر، فلما جَثوتَ بين يديه، قلتُ: هَجَسَ في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمتُ أن أحداً لا يعلمُ علمَك، فما الذي عندك؟ فغضبَ ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلتُ :نعم.
قال: هذا الموضع الذي أغرق اللهُ فيه فرعون، **أَبَـلَـغَكَ أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – أَمَـــرَ بالسؤال عن ذلك؟ قلتُ: لا، قال :هل تَـكَـلَّـمَ فيه الصحابةُ؟ قلتُ: لا،** قال: أتدري كَـمْ نَجماً في السماء؟ قلتُ: لا، قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، ممَّ خُلِقَ؟ قلتُ: لا، قال: فشيءٌ تَـرَاهُ بعينك من الخلق لستَ تعرفه تَـتَـكَـلَّـمُ في عِلْمِ خَـالِـقِـهِ؟؟؟). ونلاحظ قوله: هل تَـكَـلَّـمَ فيه الصحابةُ؟

١٧- أما في ما يخص نسبة "الـــتـــفـــويـــض" إلى السلف الصالح فليس هذا موقفنا نحن وحدنا إنما هو الموقف المروي عن كثير من الأئمة والعلماء الكبار.
وقد بين ذلك بوضوح وتفصيل علامة الحنابلة في عصره الشيخ مرعى بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي المتوفي سنة (١٠٣٢هـ)، وذلك في كتابه القيم "أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات"، فقد قال بعد كلام عن المحكم والمتشابه والتأويل وعدمه :
(إذا تقرر هذا فاعلم أن من المتشابهات آيات الصفات التي التأويل فيها بعيد فلا تؤول ولا تفسر؛ وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث علي الإيمان بها **وتـــفـــويـــض معناها المراد منها إلى الله تعالي، ولا تفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها:**
فقد روى الإمام اللالكائي الحافظ عن محمد بن الحسن قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلي المغرب علي الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.
وقد روى اللالكائي أيضا في السنة بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها في قوله تعالي) :الرحمن علي العرش استوي) [طه:٥] قالت:
(الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة والبحث عنه كفر).
وهذا له حكم الحديث المرفوع لأن مثله لا يقال من قبيل الرأي.
وقال الإمام الترمذي في الكلام علي حديث الرؤية :
(المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري وابن المبارك، ومالك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: **نروى هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال : كيف ؟ ولا نفسر ولا نتوهم).**
قال الشيخ مرعى :
(وذكرت في كتابي "البرهان في تفسير القرآن" عند قوله تعالي: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام] (البقرة ٢١٠) وبعد أن

ذكرت مذاهب المتأولين: **أن مذهب السلف هو عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه وتفويض علمه إلى الله تعالي.**
قال ابن عباس رضي الله عنهما: **"هذا من المكتوم الذي لا يفسر"** فالأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، وعلى ذلك مضت أئمة السلف.
وكان الزهري ومالك والأوزاعي وسفيان والليث بن سعد وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق يقولون في هذه الآية وأمثالها : **"أمروها كما جاءت"**.
وقال سفيان بن عيينة وناهيك به: **(كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم).**
وسئل الإمام ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات فقال:
(ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب أئمة الدين؛ مثل: مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبى يوسف **يتكلمون في ذلك، وينهون أصحابهم عن الخوض فيه).**
وسمع الإمام أحمد شخصاً يروي حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا غير حاله، فأنكر أحمد ذلك، وقال: قل كما قال رسول صلي الله عليه وسلم فهو كان أغير على ربه منك)) ! انتهى
فهذه النقول كلها تدل بجلاء على أن السلف الصالح لم يكونوا يخوضون في تفسير هذه النصوص بل كانوا يسكتون عنها، ويمرونها كما جاءت ويفوضون معناها إلى الله تبارك وتعالى، لعلمهم أن عقل الإنسان محدود وعلمه قاصر وقد قال تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما).
وأما السلف الطالح من المجسمة فيجسمون الله تعالى، والمشبه يشبهونه بالبشر، ويتخيلونه في عقولهم، ويعبدون صنماً وهمياً في عقولهم جالس على العرش والعياذ بالله تعالى.